

التفسير المختصر - سورة الشعرا (٢٦) - الدرس (١٥-٠٢) : تفسير الآيات ٦٩-٨٣-٢١٣-٢١٩ ، وائل عليهم نبأ ابراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون.....
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٩٥-١٧٠٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علما، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه، واجعلنا من يسْتَمِعُونَ القول فَيَتَبَعُونَ أَحْسَنَهُ وَأَدْخِلُنَا بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ.

أيها الإخوة الكرام، القصة الثانية من سورة الشعرا، وهي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام، قال تعالى:

﴿وَاتَّلْ عَلَيْهِمْ نَبَأً إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لَأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَرَ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هُلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا أَبَاعَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤)﴾

[سورة الشعرا]

أولاً ينبغي أن يكون الذي تعبدوه أن يسمعكم إذا سألكم، وينبغي أن يحبكم، وأن يكون قويًا ينفعكم، فهذه الأصنام لا تسمع إذا دعوتموها، ولا تنفع ولا تضر، والشيء الآخر هو التقليد الأعمى، قال تعالى:

﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا أَبَاعَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِإِلَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ (٧٧)﴾

[سورة الشعرا]

فمن الذي ينبغي أن تعبدوه؟ إذا كنت في الصحراء وقلت له: يا رب يسمعكم، وإذا كنت على ظهر سفينة والموج على أشدّه وقلت: يا رب يسمعكم، وكذا إن كنت في غواصة، وقلت: يا رب، يسمعكم، وكذا في الطائرة، فالذي ينبغي أن تعبدوه، وأن تقديم حياتك من أجله هو الله عز وجل، فلا يليق بالإنسان أن يكون لغير الله، وهذا الذي ينبغي أن تعبدوه يجب أن يكون موجوداً، وأن يكون كاملاً، وأن يكون واحدا وأن يسمع ويُبصر ويعلم فإذا تكلمت يسمع وإذا تحركت يُبصر، وإذا سكت يعلم خواترك، سميع إذا دعوته وبصیر إذا تحركت وعلیم إذا سكت والآية الكريمة:

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ (٢١٣) وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ (٢١٤) وَاحْفِظْ جَنَاحَكَ لِمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢١٥) فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بِرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢١٦) وَتَوَكَّلْ عَلَى الْغَنِيزِ الرَّحِيمِ (٢١٧) الَّذِي يَرَكَ حِينَ تَقُومُ (٢١٨) وَتَقْبَلْكَ فِي السَّاجِدِينَ (٢١٩)﴾

[سورة الشعرا]

فهذه أول صفة.

الصَّفَةُ الثَّانِيَةُ: يُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ رَحِيمًا وَدُودًا كَيْ يُعْطِفُ عَلَيْكَ وَيُنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَدِيرًا، وَتَتَعَلَّقُ قُدرَتُهُ بِكُلِّ مُمْكِنٍ، مِنْ أَجْلِ أَنْ تَذَعُوَهُ وَتَلْجأَ إِلَيْهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ (٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِنِي (٧٨)﴾

[سورة الشعرا]

قال تعالى:

﴿قَالَ فَمَنْ رَبَّكُمَا يَامُوسَى (٩) قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى (٥٠)﴾

[سورة طه]

هَدَى إِلَى مَاذَا؟ أَرْبَعُ هِدَايَاتٍ؛ هِدَايَةٌ إِلَى مَصَالِحِكَ؛ أَعْطَاكَ سَمْعًا وَبَصَرًا، وَقُوَّةً تَوازِنَّا وَحَاسَّةً شَمًّ، فَإِذَا كَانَ الطَّعَامُ فَاسِدًا عَافَتُهُ وَعَقْلًا وَحَوَاسًا حَمْسًا وَجَهَازَ الْمَنَاعَةِ وَالْهَضَمِ وَالْإِفَرَازِ، وَأَجْهَزَهُ دِقْيَةً جَدًا فَهَذِهِ هِدَايَةُ الْمَصَالِحِ، ثُمَّ هَدَاكَ بِالْوَحْيِ فَإِذَا اخْتَرْتَهُ هَدَاكَ بِالْتَّوْفِيقِ قَالَ تَعَالَى:

﴿نَحْنُ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَاهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزَدَنَاهُمْ هَذِهِ (١٣)﴾

[سورة الكهف]

ثُمَّ هَدَاكَ إِلَى الْجَنَّةِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي (٧٩)﴾

[سورة الشعرا]

الْمَطَرُ أَنْزَلَهُ، وَالنَّبَاتُ أَخْرَجَهُ وَالثِّمَارُ عَدَّهَا، وَالْمَحَاصِيلُ أَنْسَجَهَا وَكُلُّ أَنْوَاعِ النَّبَاتِ بَدْءُهُ مِنَ الْمَحَاصِيلِ إِلَى الْخَضَارِ وَالْفَوَاكِهِ وَالثِّمَارِ وَالْوُرُودِ؛ كُلُّ هَذِهِ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِي (٨٠)﴾

[سورة الشعرا]

وَهُنَا الدِّقَّةُ، فَهُوَ مَا قَالَ: وَإِذَا أَمْرَضَنِي لَأَنَّ أَصْلَ الْمَرْضِ خُروجُ الْإِنْسَانِ عَنْ مَنْهَجِ اللَّهِ، هُنَاكَ نَقْطَةٌ مُهِمَّةٌ وَهِيَ مِمَّا كَانَ ثَمَنُ السَّيَّارَةِ غَالِيًا فَلَا يَمْكُنُ أَنْ يَصْنُعَ الْإِنْسَانُ سِيَّارَةً تَدُومُ إِلَى آخرِ عُمُرِهِ دُونَ تَغْيِيرٍ قِطْعِيٍّ فِيهَا، أَرْقَى أَنْوَاعِ السَّيَّارَاتِ بَعْدِ عَشْرِينَ سَنَةً تَحْتَاجُ إِلَى كَذَا وَكَذَا، أَمَا الْإِنْسَانُ الْمُصَمَّمُ يَعِيشُ ثَمَانِينَ سَنَةً دُونَ أَيِّ تَغْيِيرٍ، يَحْوِي تَجَدِيدًا ذَاتِيًّا، أَسْرَعَ خَلَايَا فِي التَّجَدِيدِ خَلَايَا الْأَمْعَاءِ الدِّقِيقَةِ؛ تَتَجَدَّدُ ذَاتِيًّا كُلَّ ثَمَانِي وَأَرْبَعينَ سَاعَةً، وَهَذِهِ حَقِيقَةُ عِلْمِيَّةٍ، وَأَطْوَلُ عُمُرٌ خَلِيلَةٌ خَمْسَ سَنَوَاتٍ، مَعْنَى ذَلِكَ أَنْتَ كُلَّ خَمْسَ سَنَوَاتٍ إِنْسَانٌ جَدِيدٌ؛ إِلَّا الدِّمَاغُ إِذَا تَغْيَيرٍ فَهَذِهِ مُصَبِّبَةُ الْمَصَابِبِ يَدْرِسُ خَمْسَ سَنَوَاتٍ طَبًّا إِذَا تَغْيَيرٍ دِمَاغُهُ نَسَى كُلَّ شَيْءٍ، يَقُولُ لَكَ حِينَهَا: أَنَا دَرَسْتُ الطَّبَ وَالْهِنْدِسَةَ وَكَذَا... أَمَا الْآنَ فَلَا أَفْقُهُ شَيْئًا !! وَكَذَا الْخَلِيلَةُ الْعَصَبِيَّةُ لَا تَتَغَيِّرُ، وَالْقَلْبُ كَذَلِكَ، فَكُلُّ شَيْءٍ يَتَغَيِّرُ فِي الْإِنْسَانِ إِلَّا الْقَلْبُ وَالْدِمَاغُ فَلَا يَتَغَيِّرُانِ، فَاللَّهُ تَعَالَى صَمَمَ الْإِنْسَانَ تَصْمِيمًا دُقِيقًا. تَلَوُّثُ الْهَوَاءِ وَالْأَطْعَمَةِ الْكِيمَاوِيَّةِ، تَجِدُ شَرَابَاتٍ كُلُّها كِيمَاوِيَّةً، وَلَا شَيْءٍ فِيهَا طَبِيعِيٌّ! فَهَذَا خَطَأُ، فَالْأَشْيَاءُ الَّتِي تُخْزِنُ فِي الْفَرِيزِرِ تُسْبِبُ أَمْرَاضًا وَبِنْزُوَاتِ الصُّودِيُومِ مَسْمَوْحٌ اثْنَانٌ

بِالْأَلْفِ وَأَصْحَابِ الْمُعَالَمِ حَتَّى لَا تَرْجِعُ لَهُمُ الْمُعَلَّبَاتِ وَكَيْ لَا تَقْسِدُ يَضَعُونَ خَمْسَةَ بِالْأَلْفِ، وَهَذِهِ مُوَادٌ مُسْرِطَنَةُ، أَحَدُ الْأَطْبَاءِ قَالَ: مَرْضُ السُّرْطَانِ مُتَضَاعِفٌ عَشْرِينَ ضِعْفًا بِالنِّسْبَةِ لِلسُّنُواتِ الْسَّابِقَةِ، هُنَاكَ خَطَا بِحَيَاةِنَا، وَخَطَا بِأَكْلِنَا وَفِي الْهَوَاءِ الَّذِي نَسْتَشِقُهُ، وَالْمَاءِ الَّذِي نَشَرَبُهُ؛ فَالْمَيَاهُ السُّودَاءُ الَّتِي بِالْغَوْطَةِ الشَّرْقِيَّةِ جَعَلَتْ كُلَّ الْخُضْرَاءِ وَالْفَوَاكِهِ فَاسِدَةً ! فَالْمَيَاهُ السُّودَاءُ تَدْخُلُ فِي تَرْكِيبِ النَّبَاتِ، فَهَذَا خَطَا عَصْرِيُّ وَلَيْسَ فَرْدِيًّا أَصْبَغَةَ كِيمِاوِيَّةً، وَقَلَّ عَلَى الدَّخْلِ وَالْتِجَارَةِ لَذَا أَصْلَ الْمَرْضِ خُروجُهُ عَنْ مِنْهَجِ اللَّهِ، يُغَيِّرُونَ مِنْهَجَ اللَّهِ فِي الْحَيَاةِ، الْلَّحْمُ مَصْعُوقٌ كَهْرَبَائِيًّا .

عُقِدَ مؤَتمِرٌ عَلَى السُّرْطَانِ بِالْأَمْرِنِيَا قَبْلَ عَشْرِ سُنُوتٍ، وَالَّذِي نَابَ عَنْ بَلْدَنَا دُكْتُورٌ مَشْهُورٌ بِالسُّرْطَانِ قَالَ فِيهَا: الْبِلَاسْتِيْكُ إِذَا اسْتَعْمَلْتَهُ بِالسَّائِلِ الْحَارِ أَوِ الْحَامِضِ يَأْخُذُ مِنْهُ، فَالْمَوَادُ الْحَامِضِيَّةُ وَالْحَارَّةُ مَنْنُوعٌ اسْتَعْمَلَهَا بِالْبِلَاسْتِيْكِ، فَهَذَا أَحَدُ الْأَخْطَاءِ، لِذَلِكَ الْآنَ هُنَاكَ مَقَايِيسٌ وَمُوَاصِفَاتٌ، يَأْخُذُونَ أَيِّ عَيْنَةٍ وَخَلَافُ الْمُوَاصِفَاتِ مُصَارِدَةً لِأَنَّ تُجَارِ الطَّعَامَ لَا يَعْنِيهِمْ شَيْئًا، وَفِي بَعْضِ مَعَالِمِ الْلَّحْمِ الْجَاهِزَةِ وَجَدُوا لَحْمًا قِطْطَةً ! لِذَلِكَ الإِنْسَانُ كَمَا عَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ مَا يَتَكَلَّمُ لَا بَدَّ أَنْ يَعْرِفَ مَاذَا يَأْكُلُ، دَعَكَ مِنِ الْكِيمِاوِيَّاتِ، وَتَنَاهُ الْمَوَادُ الطَّبِيعِيَّةُ، وَالْطَّازِجُ أَفْضَلُ، وَهَذَا هُوَ مَعْنَى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠)

[سورة الشعرا]

وَالصِّحَّةُ نَصْفُ مَالِ الإِنْسَانِ، فَالْعِنَاءُ بِالصِّحَّةِ جَزْءٌ مِنَ الدِّينِ، النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ عَنْ حَبَّةِ الْبَرَكَةِ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي الْحَبَّةِ السُّودَاءِ:

((شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ قَالَ أَبْنُ شِهَابٍ وَالسَّامُ الْمُوْتُ وَالْحَبَّةُ السُّودَاءُ الشُّونِيْزُ))

[رواية البخاري]

عُقِدَ مؤَتمِرٌ بِمِصْرٍ لِيَدْرِسَ الْحَبَّةَ السُّودَاءَ وَكَانَتِ النَّتِيْجَةُ أَنَّ الْحَبَّةَ السُّودَاءَ تُقْوِيُّ جِهازَ الْمُنَاعَةِ فِي الإِنْسَانِ، فَيَشْفِي مِنْ كُلِّ مَرْضٍ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ عَنِ الْعَسْلِ فِيهِ شِفَاءُ لِلنَّاسِ، وَأَحْيَانًا دَوَاءً كِيمِاوِيًّا ثُمَّ ثَمَنَهُ ثَمَانَ مائَةَ لِيَرَةً، وَالْحَبَّةُ أَلْفَ لِيَرَةً، فَأَنْتَ إِرْجَعْتُ إِلَى الْكِتَابِ وَالسُّنْنَةِ، وَطَبَّقْتُ نَصَائِحَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، هَذَا هُوَ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فِي حَيَاةِهِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِنِ (٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي

﴿خَطَّيْتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ (٨٢) رَبِّ هَبِّ لِي حُكْمًا وَالْحَقْتِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣)﴾

[سورة الشعرا]

أَيُّ أُرْزَقَنِي الْحِكْمَةُ، قَالَ تَعَالَى:

﴿يُؤْتَى الْحِكْمَةُ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُوا

﴿الْلَّبَابِ﴾ (٢٦٩)

[سورة البقرة]

فأعظم شيء على الإطلاق يُؤتِيكه الله أن تكون حكيمًا، حكيمًا في طعامك وشرابك وزواجك، وتزويج أولادك وبناتك، وحكيمًا في علاقاتك مع الآخرين، وحكيمًا في نزهاتك وسفرك.

والحمد لله رب العالمين